صيد الفوائد

العدد : ١٩١ الموافق في صفر ١٤١٨ هجري ٧ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : سلاماً... سلاماً (١ – ٣)	بقلم : يمان السباعي

ما من صفة من صفات الجنة ، استحوذت على نفسي وبهرتها ، كصفة السلام ، السلام في الجو العام ، السلام في الطبيعة المحيطة بأهل الجنة ، السلام النفسي العميق الذي توحي به كل آية تصف الجنة في القرآن... والسلام في القول ، والتحية ، حيث لا لغو ولا كذب ، ولا قيل وقال.

وهذه صفة لم يمنحها الله في الدنيا إلا لكرام خلقه ، علقها وساماً على صدورهم ، يسيرون فيها في دروب الحياة ، بنفوس متألمة لكنها مطمئنة ، وقلوب مكلومة ولكن سليمة.

عباد وإماء الرحمن الذين يتجاوزون مجالس الجهالة والسفاهة ، مجالس هتك الأعراض ، والهمز واللمز ، المجالس التي يستسيغ أهلها الطعن في كل أحد ، واحتقار كل أحد ، والخوض في سير الآخرين حتى لو كان ذلك من غير انتصار بعد ظلم.

ولا يتجاوز عباد الرحمن هؤلاء ، هذه المجالس ، تجاوزاً مادياً فحسب ، وإنما تجاوزاً معنوياً ، يجعلهم يحلمون ، ويصفحون ، ويصمتون ، وفي الحديث القدسي (أنا وَلِيُّ من سكت) وتعاني المجتمعات الإسلامية اليوم في كل مكان ، بصورة مأساوية من فقدان السلام... السلام النفسي ، والسلام الاجتماعي ، والسلام في إطار الشخص الفرد ، والسلام في منظومة الأسرة.. وتعاني مجتمعاتنا ، الصغيرة منها ، والكبيرة ، من الأمراض النفسية الخبيثة التي تتجلى في سلوكيات شاذة منحرفة ، جوهرها افتقاد السلام في نفس الإنسان ، ومن أهم أعراضها جهل الناس على بعضهم البعض ، وإيذاؤهم للآخرين في أنفسهم أذى بليغاً.

أما في مجال العلاقات الخارجية... فلربما احترف بعض الناس فن تجريح الأشخاص في وجوههم ، واحتقارهم في مجالسهم ، ونشر عوراتهم أمام من يكرهون.

وكم من الفتن اشتعلت بسبب انتصار بعض الجاهلين لأنفسهم ،دون تثبت ، ولا تريث ، ودون حلم ولا علم.. بل لربما قابل المؤمن الفتنة بالحلم وبالتي هي أحسن ، فبالغ أولئك في أذاه ، واعتبروا حلمه ، وصفحه ، ضعفاً ، ودليلاً على جرم كانوا قد اتهموه به أو أشاعوه عنه.

ما أعظم قول الرسول ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...) [رواه البخاري ومسلم] وليست السلامة في فعل الترك وحسب ، وإنما في استشعار السلام بشكل عميق بين أفراد المجموعة الواحدة ، أوالمجتمع بشكل عام... ذلك السلام الذي لا يمكن أن يتولد إلا عن طريق المحبة ، والأخوة ،

وتجاوز الأذى ، وترك المرء ما لا يعنيه من شؤون الآخرين ، وترك الخوض فيما يخص إخوانه ، ويؤذيهم أن يخاض فيه.

إنه سلوك أقل ما يقال فيه أنه مغرق في القبح والبشاعة ، لأنه يدل على مرض عضال ، وأهم أعراضه الفراغ القاتل ، الذي يجعل المرء مجنداً للخوض في قيل وقال.. وكثرة السؤال ، ويقتل لديه تلك الحساسية الشفافة التي تجعل الأخ يحس وعلى الفور آثار السهام التي أطلقها.. في قلوب إخوانه !.

فهيا بنا أيها الإخوة والأخوات ، فنحن في منعطف تاريخي خطير في حياة الإسلام والمسلمين والإنسان.